

بسم الله الرحمن الرحيم

تحرير الخلاف بين الحنابلة في موضع بدء السعي الشديد بين الصفا والمروة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد:

فقد اختلف العلماء رحمهم الله في بدء السعي الشديد بين الصفا والمروة هل هو من
العَلَم أو من قبله بستة أذرع؟

والذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث جابر رضي الله عنه أنه لما
انصبت قدماه في بطن الوادي سعى.

وقد ذكر بعض الفقهاء رحمهم الله تعالى أنه يبدأ السعي الشديد قبل العلم بنحو من
سته أذرع.

فمن أين أخذ الفقهاء رحمهم الله تعالى زيادة الستة الأذرع؟

سأذكر بعضاً ممن نص على أن السعي يكون بين العلمين، وبعضاً ممن نص على
أن البدء يكون قبل ستة أذرع من الميل (أو العلم)، ثم نتلمس سبب الخلاف.

وسأقتصر على ذكر فقهاء الحنابلة رحمهم الله. [علماً أن الخلاف ليس خاصاً بمذهب
الحنابلة لكن سيقصر البحث على ذكر نصوص من مذهب الحنابلة]

أولاً: ممن نص على أن بدء السعي الشديد من العلم لا من قبله:

١- الإمام أحمد في رواية المروزي عنه كما نقلها شيخ الإسلام في شرح العمدة

(١٩٣/٥)، وابن هانئ في مسائله (١٧٩/١)

٢- الخرقى (مع المغني ٢٣٦/٥)

٣- ولد ابن الجوزي في المذهب الأحمد ص ٧٠

٤- الموفق في المقتنع (١٢٩/٩)

٥- المجد في المحرر (٣٧٦/١)

٦- ابن حمدان في الرعاية الصغرى ص ٥٠٦

٧- الأدمي في المنور ص ٢٣٥

٨- الحجاوي في زاد المستنقع ص ١٦٨

ثانياً: ممن نص على زيادة ستة أذرع في السعي الشديد من الحنابلة:

- ١- أبو الخطاب رحمه الله في الهداية ص ١٩٠
- ٢- السامري في المستوعب (٥٠٣/١)
- ٣- الموفق ابن قدامة رحمه الله في المغني (٢٣٦/٥) والكافي (٤٣٧/١)
- ٤- ابن أبي عمر رحمه الله في الشرح الكبير (١٢٩/٩)
- ٥- ابن مفلح في الفروع (٤٣/٦)
- ٦- المرادوي في تصحيح الفروع (٤٣/٦/٦) وفي الإنصاف (١٢٩/٩) وقد أطلق الخلاف في الإنصاف، وصح القول بالتقدم ستة أذرع في تصحيح الفروع.
- ٧- الحجاوي في الإقناع [مع الكشف ٢٦٦/٦]
- ٨- البهوتي في شروحه الثلاثة [كشف القناع ٢٦٦/٦] [شرح المنتهى ٥٤٥/٢] الروض [١١٧/٤]

ثالثاً: هل الخلاف لفظي أو معنوي؟

من يقرأ سياق بعض فقهاءنا رحمهم الله للخلاف - كابن مفلح في الفروع، والمرادوي في الإنصاف وتصحيح الفروع - يفهم أنه معنوي لوجود الفارق في مكان بدء السعي الشديد.

والذي يظهر والله أعلم أن الخلاف لفظي ، ولتبيين ذلك سأذكر هذه النقول من كتب خارجة عن كتب فقه الحنابلة رحمهم الله ثم أذكر ما يرجح ذلك من تصرف الموفق في المغني وابن أخيه ابن أبي عمر في الشرح .

ذكر بعض فقهاء الشافعية والحنفية رحمهم الله أن سبب الخلاف تغير مكان الميل بسبب جرف السيل له عن مكانه الأصلي، فأخر عن بدء الوادي بنحو ستة أذرع ولذلك نص جمع من الفقهاء رحمهم الله أن بدء السعي الشديد يكون قبل ستة أذرع من العلم لكونه تم تأخيرها في وقتهم، والظاهر أن التأخير من زمن متقدم، فقد نص الإمام الشافعي رحمه الله في الأم (٢٣١/٢) على التقدم بستة أذرع ولم يذكر علته.

وهذه بعض النصوص المؤيدة لذلك:

- قال الجويني في نهاية المطلب : (ثم ينزل ماشياً على هَيْئَتِهِ، حتى يبقى بينه وبين ميلٍ يراه معلقاً على ركن المسجد، مقدارَ ستة أذرع، فيبتدئ السعي. وكان ذلك الميل موضوعاً على المكان الذي منه ابتداء السعي، فكان السيل يهدمه، ويحطمه، فرفعه إلى أعلى ركن المسجد، ولم يجدوا على السَّنن

أقرب من ذلك الركن، فوق متأخراً عن مبتدأ السعي ستة أذرع)
[٣٠٥،٣٠٤/٤]

- قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (ثم نزل إلى المروة يمشي، فلما انصبت قدماه في بطن الوادي، سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد، مشى، هذا الذي صح عنه، وذلك اليوم قبل الميلين الأخضرين في أول المسعى وأخره). [٢١١/٢]

- وقال الجمل في حاشيته على شرح المنهج ((قوله: قدر ستة أذرع) أي لأن هذا الموضع كان محل ذلك الميل فلما رماه السيل ألصقوه بجدار المسجد فنقدم عن محاذاة محله بذلك القدر اهـ. برماوي.) [٤٤٧/٢]

- وقال ابن عابدين رحمه الله في حاشيته على الدر المختار (٥٠١/٢) (وقوله قيل بنحو ستة أذرع قال شارحه هو منسوب للشافعي وذكر أيضا في بعض المناسك لأصحابنا. اهـ. قلت: ونقله في المعراج عن شرح الوجيز وقال إن الميل كان على متن الطريق في الموضع الذي يبتدأ منه السعي، فكان يهدمه السيل فرفعه إلى أعلى ركن المسجد، ولذا سمي معلقا فوق متأخرا عن ابتداء السعي بستة أذرع لأنه لم يكن موضع أليق منه والميل الثاني متصل بدار العباس اهـ ونقله في الشرنبلالية أيضا وأقره، ونقله بعض المحشين عن منسك ابن العجمي والطرابلسي والبحر العميق وغيرهم. قلت: ولا ينافيه قول المتون ساعيا بين الميلين لأنه باعتبار الأصل) اهـ.

- وقد ذكر تقي الدين الفاسي رحمه الله (ت ٨٣٢) في كتابه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) بعض النقول عن الشافعية التي تؤيد ذلك ثم قال (ولم يذكر الأزرق سبب هذا التغيير مع كونه ذكر أن بالمنارة المشار إليها علم السعي، وهذا يقتضي أن يكون التغيير المشار إليه وقع في عصره أو قبله، ويبعد أن يكون لتغيير ذلك سبب، ولا يذكره الأزرق، كما يبعد خفاء سبب ذلك عليه، لأنه كثير العناية بهذا الشأن، والله أعلم.) [٤٢٣/١]

- ولعل مما يؤيد أن الخلاف لفظي أن الموفق رحمه الله في المغني لما شرح عبارة الخرق في قوله (فيمشي حتى يأتي العلم) قال الموفق (ومعناه: يحاذي العلم وهو الميل الأخضر المعلق في ركن المسجد فإذا كان منه نحو من ستة أذرع سعى سعيا شديدا) انتهى، وكذا الشارح ابن أبي عمر لما شرح عبارة الموفق في المقنع (ويمشي حتى يأتي العلم فيسعى سعيا شديدا) ذكر في شرحه نحو من عبارة الموفق في المغني، فهما لم يعتبرا ذلك خلافا، وإنما ذكراه حكاية للواقع.

- وشيخ الإسلام رحمه الله في شرح العمدة (١٩٤/٥) ابتداء بذكر المسألة وذكر أن أغلب المصنفين يذكرون أن بدء السعي الشديد من حد الميل المعلق بركن

المسجد ، وذكر أن بعض الأصحاب ذكروا أنه يبدأ قبل ذلك بنحو ستة أذرع
ثم انقطع الكلام لوجود سقط في المخطوط.

وقد نص على أن الخلاف لفظي ابن عابدين في حاشيته كما تقدم نقله، وذكره الشيخ
فهد الكثيري حفظه الله في رسالته (المسائل التي خالف فيها الحجاوي في زاد
المستقنع المذهب عند الحنابلة في العبادات) ص ٣٦٢-٣٦٧]

وبهذه النقول يتبين والله تعالى أعلم أن الخلاف بين الفريقين لفظي، فمن قال بالزيادة
نظر للواقع في زمنهم، ومن قال بعدمها نظر للأصل.

والواقع حالياً: أن مبتدأ الوادي من مبدأ النور الأخضر في المسعى ومنتهاه عند
النور الآخر، فالسعي الشديد بينهما لا يتقدم عليه لزوال العلة التي من أجلها قال من
قال بالتقدم، وقد ذكر الشيخ محمد طاهر الكردي المكي رحمه الله (ت ١٤٠٠) في
كتابه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (١٣٠/٥) لما ذكر ما نقله بعض العلماء
رحمهم الله من أن مبتدأ السعي الشديد قبل ستة أذرع من موضع الميل بسبب تأخره
عن موضعه الأصلي قال بعده (ولقد هدم أحد العلمين الأخضرين في سنة (١٣٧٥)
خمس وسبعين وثلاثمائة وألف، وهدم العلم الثاني في السنة التي بعدها، وهي سنة
(١٣٧٦) وذلك بسبب توسعة المسجد الحرام، ثم إنه في أعادوا وضع العلمين
من جديد للغرض المذكور، فوضعوهما بالمحل الأصلي الذي كانا فيه). انتهى
كلامه، وموضع النقاط بياض في المطبوع، ولعل المؤلف رحمه الله بياض له ليتثبت
من التاريخ ثم لم يلحقه.

وقد ذكر الشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله في شرحه لمنسك النووي رحمه الله
سبب التقدم بستة أذرع وأن هذا بناء على سبب تغير موضع الميل، ثم قال بعده
(لكن الموجود الآن العلامة في مكانها في أول الوادي وفي آخرها) انتهى ، وشرحه
لهذا الكتاب موجود مفرغا في موقع فضيلته حفظه الله.

(فائدة) الميل أو العلم: المقصود به العلامة. وذكر بعض من كتب في تاريخ مكة
أنها وضعت متقدمة جدا لتبين موضع السعي الشديد لأن الوادي ليس منخفضا جدا ،
فقد ذكره الأزرق في تاريخ مكة (١١٩/٢) وهو مولود في القرن الثاني من
الهجرة، وذكر الكردي في كتابه المذكور أنها قد تكون وضعت في أواخر القرن
الأول الهجري لما انقرض معظم الصحابة وخافوا أن يضيع موضع هرولة النبي
صلى الله عليه وسلم وضعوا هذين العلمين لئلا يحدث الاختلاف، وكانوا من قبل
يحددونها بالمواضع فقد جاء في صحيح البخاري معلقا أن ابن عمر رضي الله
عنهما قال: (السعي من دار بني عباد إلى زقاق بني أبي حسين).

وقبل أن أختتم أشكر الله عز وجل على ما من به من الوقوف على هذه الفائدة، ثم أشكر من ابتداء الإفادة وهو أخي الشيخ يونس بن عبدالله السلامة ، فقد زودني بالنقولات من نهاية المطلب وحاشية ابن عابدين، كما أشكر أخي الشيخ محمد بن فهد الأحمد على أن أفادني برسالة الشيخ فهد الكثيري وأنه نقل فيها هذه المسألة، واقترح علي إضافة بعض المسائل للبحث.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فأدمن شكره أبدا

وقل: فلان جزاه الله صالحا..... أفادنيها وألق الكبر والحسدا

هذا ما انتهى له علمي، وبلغه فهمي، ووصله اطلاعي، وفوق كل ذي علم عليم ،

(فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله برئ منه ورسوله). [مقتبس من مقدمة ابن القيم رحمه الله لحادي الأرواح ١/١٣]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه عبدالله بن عبدالرحمن الميمان

ليلة السبت ١٤٣٨/١١/٢٧

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات